الفصل الخامس

البحث عن أصول البهائية

الأكذوبة البهائية

الغرب منتج للأكاذيب الكبرى المحكمة. وهو يفرضها على مجتمعاته بالدرجة الأولى وعلى العالم كله. ومن المهين أن يأخذ العالم غير الغربي بهذه الأكاذيب والأضاليل..

الأكذوبة الشهيرة التي فرضت على العالم كله: هي أكذوبة المحرقة اليهودية. وقد وضعت لها خطوط عامة، وتمت هندستها وصياغتها بإحكام كبير. والغرب مازال يسعى إلى الاستفادة منها حتى يومنا هذا.. ففي الغرب يمنع قطعاً مناقشة تاريخ المحرقة.. وأي غربي لا يجرؤ حتى على الإصغاء لأي حديث يتناولها.!. وقد طوّر اليهود نظرية المحرقة وجعلوا منها عقائد وفلسفة دينية يهودية جديدة.. فقال بعضهم بأن الإلـٰه أحرق مع شعبه اليهودي في المحارق النازية...

وقال آخرون بأن المحرقة هي المعبد اليهودي المقدس . وهي الإلـٰه نفسه الذي تناول ضحاياه كأضاحي بشرية..!..

من عقائد اليهود القديمة تقديم أضاحي حيوانية وبشرية للرب في محارق . وفي كل معبد يهودي يوجد محرقة للأضاحي. فالمحرقة هي طقوس العبادة اليهودية.. واعتقد اليهود المتطرفون بأن الإلـٰه لا يأذن لشعبه بالعودة إلى أرض الميعاد إلّا بعد أن يتعرضوا للهلاك، وبعد أن يقدموا له الأضاحي. فكذب اليهود على إلههم وأظهروا له بأنهم أحرقوا في محارق نازية.. وأنهم كانوا أضاحي للرب..!

والأكذوبة التي نتناولها في كتابنا هذا هي الأكذوبة البهائية: وقد صنعها الغرب في محاولة منه للقضاء على الفكر الديني الإسلامي الذي يجمع المسلمين ويوحد كلمتهم. ويدعوهم لمطاردة الاستعمار.

وفي هذه الأكذوبة يحاول الغرب أن يصنع ديانة سماوية، ونصوصاً مقدسة ينسبها للإلـٰه..!.. فالغرب يبالغ كثيراً في المزاعم البهائية.. ويصل إلى أبعد الحدود في حربه على الإسلام.

وقف المسلمون معارضين لهذه الأكذوبة. كما تصدّى لها مسيحيو العالم العربي. وكشفوا عن إفكها. لكن الذين صدّقوا أضاليلها كانوا من اليهود، ومن الوثنيين الغربيين والأفارقة.

والأكذوبة الثالثة هي القاديانية. والرابعة هي الأحمدية. ونحن نعتقد بأن منظمة الأمم المتحدة هي أكذوبة عالمية أخرى.

تناقضات البهائية

في البهائية تناقضات كثيرة، لا حصر لها. وتنبع هذه التناقضات من تعدد وتناقض المصادر التي أخذت عنها شرائعها.

ويمكن أن نقول بأن البهائية أخذت عن كل ما سبقها من عقائد وشرائع. ثم أضافت إليها أفكاراً عصرية جديدة.

وقد وقعت البهائية نتيجة لذلك في مآزق كبيرة وكثيرة. وأصبح من المستحيل لأي بهائي الرد على هذه الإشكالات، فإن مجرد التفكير في هذه المآزق والتناقضات يكفل بأن ينهي البهائية ويزيلها من الوجود. وقد أدرك صنّاع البهائية وجود الكثير من هذه المآزق. فاتخذوا خطة احترازية، ومنعوا فيها ظهور أي نوع من رجال الدين في البهائية. وحوّلوها إلى مؤسسات عادية.

فأول تناقض يظهر لنا بوضوح هو ادّعاء البهائية بأنها ديانة وعقيدة. فيما هي في حقيقتها تمنع الأفراد من التفكير الإيماني في الأمور الدينية البهائية نفسها... فالاجتماع البهائي هو اجتماع مدني عادي، وليسمح له بأن يحمل طقوساً دينية. ورجال البهائية وزعيمها الحالي ليس رجل دين بهائي. بل هو رجل أعمال ومستثمر أموال..!.

دعاة البهائية انشقّوا عن الصف الإسلامي. والبهائية ظهرت داخل المجتمع الإسلامي، ورغم ذلك فهي أبعد نهج عن الإسلام، وهي ألدّ أعداء الإسلام.!. وهذا يمثّل تناقضاً كبيراً فيها. فليس بمقدور أيّ بهائي أن يجمع بين متناقضين من هذا النوع.

وإن تناقضات البهائية وسخف مزاعمها تمكننا من الحكم على أتباعها بأنهم ينتمون إلى أحد هذه الأنواع من الجنس البشري:

إما أن يكونوا جهلة مغفلين إلى حد كبير يمنعهم جهلهم من اكتشاف تناقضات وسخف البهائية.

أو أنهم مدركون لحقيقة أنها أكذوبة، وراضون عنها لأنهم بواسطتها يحققون مصالح كثيرة.

أو أنهم معتوهون ومرضى.

أو أنهم حاقدون مثل أولئك الأجانب الذين كانوا يحملون أحقاداً كبيرة معادية للمسلمين وللشعوب العربية والشرقية. وأرادوا المكر والإفك والإضرار بنا.

البهائية عبءٌ على اليهود

من المؤكّد بأن اليهود كانوا قد ساهموا في خلق بدعة البهائية الجديدة، ظنّاً منهم بأنها ستكون أحد البدائل التي ستحلّ محلّ الإسلام. فتمّت صياغة البهائية بما يتلاءم مع أسس وشرائع العقائد اليهودية. وتم تلقيحها بأفكار يهودية خالصة. وبالوقت نفسه ظلت البهائية مبعدة عن دائرة القداسة اليهودية الشاملة.

والمشكلة التي واجهت اليهود هي فرض التزامهم بالبهائية إلى أجل غير مسمّى. مما جعلها تشكّل عبئاً آخر عليهم. فرغم أنها تخدم مصالحهم وتحقق لهم الكثير من الأغراض، لكن متطلباتها ليست بالأمر اليسير.!.

وأهم مشكلة تواجه اليهود في تبنيهم للفكر البهائي هي عدم قدرتهم على دحض ذلك الفكر نفسه.!. فهم ساهموا في صياغة ذلك الفكر البهائي ليس بسبب قناعتهم بأنه فكر ديني سليم، بل ليكون أتباعه عملاء لهم ومؤازرين لليهود، والهدف الآخر هو محاولة خلق شقّ كبير في الجسد الإسلامي. لكنّ تسلسل الأحداث أدّى في نهاية المطاف إلى الإضرار باليهودية والصهيونية، وبساساتها وأغراضها حسب رأينا، ويمكن التحقق مما نقول في هذا التسلسل للأحداث والمعطيات:

أولاً: ساهم اليهود ثم الصهيونية في ابتداع البهائية لتخدم أغراضهم.

ثانياً: اليهود مضطرون للالتزام بالبهائية ولتصديق بدعها الكاذبة، وتبني جماعاتها وأفرادها.

ثالثاً: نتج عن ذلك أن أفراد المجتمع اليهودي تحالفوا مع البهائيين في مناطق عديدة من دول العالم. ونتج عن ذلك التحالف نوع من الاتحاد الجماهيري والاجتماعي، ونوع من التفاهم الفكري والديني.

رابعاً: ونتج عن تلك التحالفات اليهودية البهائية أن انتقل قسم كبير من اليهود إلى الديانة البهائية، التي يرون بأنها ديانة تلبي أغراض اليهود ولا تكفر باليهودية، بل هي صيغة دينية سهلة شبه علمانية، وتتلاءم مع متطلبات اليهودي العابث.

خامساً: إن انتقال قسم كبير من اليهود إلى البهائية يمكن اعتباره بلا شك كمرحلة أولىٰ في طريقهم الذي سيؤدي إلى تركهم التام لليهودية.

سادساً: لا تستطيع المؤسسات اليهودية والصهيونية اليوم أن تعلن بصراحة وبوضوح بأن البهائية لم تكن سوى خدعة وأكذوبة على الشعوب، ولذلك فهي لا تقدر على منع

يهوديها من الاقتناع بالبهائية. وتلك ورطة خطيرة تهدد الديانة اليهودية. ومن ثم تهدد الوجود اليهودي برمته. لأن خطر البهائية على اليهودية هو واحد من أخطار كثيرة متماثلة.

سابعاً: على هذا المقياس، فإن اليهود يواجهون أخطاراً كثيرة ستؤدي إلى انقراض اليهود عالمياً في العقود القادمة. ومنها انتقال اليهود إلى الماسونية والمسيحية وجماعة هنري كريشنا والجماعات الشيطانية، والأفلاطونية الجديدة... وغيرها.

ثامناً: تحاول الصهيونية أن تجعل من البهائية جسر العبور إلى اليهودية، وتريد بذلك استقطاب مستوطنين جدد اعتنقوا البهائية ليتم تهويدهم في نهاية المطاف وليتم استخدامهم في الدفاع عن الكيان الصهيوني. لكن الذي يحدث عكس ما يرسمه الصهاينة إذ تصبح البهائية جسر عبور اليهود نحو المجهول والانقراض اليهودي في نهاية المطاف.

السيولة اليهودية الشاملة

استمدت البهائية فكرها الحلولي من اليهودية الحلولية. التي ترى بحلول الإلٰـه في الشعب. فلنتعرّف على عقائد اليهود الوثنية. التي رتّبها البروفسور عبد الوهاب المسيري:

أخذت الحلولية الكمونية اليهودية عبر تاريخها الطويل الشكل الثنائي الصلب (الإثنيني أو الثنوي). ويستمر هذا الوضع قائماً حتى نهاية القرن الثامن عشر (حركة التنوير اليهودي). وبعد ذلك التاريخ، بدأت الثنائية الصلبة في الانحلال إذ تتجه الحلولية نحو المرحلة السائلة التي تبدأ عادةً بظهور نزعة عالمية أممية بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية ينادون بأيديولوجية عالمية يرون أنها الطاقة الدافعة للمادة المسيّرة للكون الكامنة في كل البشر وليس في اليهود وحسب، وكامنة في الطبيعة ككل وليس في أرض بعينها. وقد بدأت هذه النزعة العالمية في الظهور مع تفاقم أزمة اليهودية الحاخامية (وظهور شبتاي تسفي وإسبينوزا) ومع تزايد اندماج اليهود في الحضارة الرأسمالية والاشتراكية (العلمانية) الصاعدة وتحوُّلهم من جماعات وظيفية (حلولية ثنائية صلبة) إلى أعضاء في الطبقات المختلفة للمجتمع (حلولية شاملة سائلة)، وتحوَّل المفكرون اليهود من مفكرين يهود إلى مفكرين علمانيين عالميين يدينون بالولاء إما للدولة القومية المطلقة أو للطبقة العاملة أو الجايست أو روح الشعب... إلخ، أو أي مطلق علماني عالمي شامل، وأصبح الهدف من وجود اليهود هو الاندماج، بل الانصهار في الإنسانية.

فحركات المشيحانية عالمية سائلة ترى أن خلاص اليهود يعني سقوط كل الحدود وانتهاء رسالتهم واختفاءهم باندماج جميع البشر. وتتسم هذه المرحلة بأنها تتضمن رفضاً كاملاً للحدود، أي أنه تعبير عن الرغبة في الانسحاب من حالة التاريخ الإنسانية.

ولكن حينما تزال الحدود تماماً بين الإنسان والإنسان تزال الحدود أيضاً بين الإنسان والطبيعة، وتتم المساواة بين الإنسان والطبيعة وبين الخير والشر وبين الذكر والأنثى، أي يتم إلغاء كل الثنائيات، وهنا تبدأ الحلولية السائلة تطل برأسها إذ يصبح الهدف من وجود الإنسان في الكون هو التناغم معه بمعنى الذوبان الكامل فيه، ومن ثم تختفي أية منظومة معرفية وأخلاقية، وتظهر الترخيصية والإباحية والإباحة الكاملة.

وقد ورثت حركة التنوير اليهودية هذه الفكرة، وتأثرت بها اليهودية الإصلاحية التي بدأت ترى الإلٰه كمبدأ واحد يسري في المخلوقات ولكنها احتفظت باسم الإلٰه (حلولية شحوب الإلٰه).

وتشكل اليهودية المحافظة عودة إلى الحلولية الثنائية الصلبة إذ إن مركز الحلول يصبح الشعب اليهودي ومؤسساته القومية. وتحتفظ اليهودية المحافظة باسم الإلٰه، ولكنه إلٰه غير متجاوز، كتعبير عن الذات اليهودية، ولذا فهي تظل في إطار وحدة الوجود الروحية وشحوب الإلٰه. والصهيونية هي الأخرى عودة للثنائية الصلبة، فبعد موت الإلٰه يبقى الشعب المقدَّس المتمركز في أرضه المقدَّسة (المستوطنون الصهاينة في فلسطين) حيث تنظمهم الدولة الصهيونية صاحبة الإرادة النيتشوية التي تَصدُر عن حقوق مطلقة منحها اليهود لأنفسهم وتساندها القوة العسكرية، وتقف هذه الدولة أمام الأغيار (الذين يقعون خارج نطاق القداسة) تمارس حقوقها بالقوة وتهدر حقوق الآخرين. والصهيونية تأخذ شكلين:

ثنائية صلبة روحية . (الإلٰه يحل في الشعب)

وثنائية صلبة مادية (القوة الدافعة للمادة الكامنة في الشعب).

يترجمان نفسيهما إلى صهيونية دينية أو إلى علمانية. وأخيراً ترجمت الثنائية الصلبة نفسها إلى لاهوت موت الإلٰه ويتسع نطاق الحلولية ليصل إلى اليهودية الإنسانية الإلحادية التي ترى أن الإيمان الحق باليهودية يعني الإيمان الحق بالإنسانية، ومن ثم فإن جوهر اليهودية الحق يتحقق من خلال اختفائها، بل اختفاء الإلٰه بالتحامه الكامل بالمادة. ومع اختفاء الإلٰه، تتعدد المراكز وندخل يهودية عصر ما بعد الحداثة حيث يُعلَن موت الإلٰه ويظهر عالم لا مركز له. وكل ما فيه متساو نظراً لتحقُّق الحلولية الشاملة السائلة التي تذيب حدود الأشياء فتختفي جميعاً عند هذه اللحظة، يمكن أن يحدث أي شيء وكل شيء، فتظهر اليهودية المتمركزة حول الأنثى، وينضم أعضاء الجماعات اليهودية بأعداد متزايدة إلى الماسونية والبهائية والعبادات الجديدة، وكلها عقائد حلولية شاملة سائلة ذات طابع واحدي، تنكري أي ميتافيزيقا. ولعل هذه الحلولية الشاملة السائلة هي الإطار الذي تدور

فيه النزعة التفكيكية (الهرمنيوطيقا المهرطقة) التي يتسم بها كثير من المفكرين ذوي الأصول اليهودية إذ نجدهم يتجهون نحو رفض المجتمع بكليته، بل التاريخ الإنساني بأسره نتيجة رفضهم كل الحدود. ومن هنا، ينخرط المثقفون من أعضاء الجماعات اليهودية بشكل ملحوظ في حركات ما بعد الحداثة بكل ما تتسم به من عدمية ناجمة عن الراديكالية المعرفية والأخلاقية التي تنكر أيَّ يقين معرفي أو مطلقية أخلاقية وأية مرجعية متجاوزة، إنسانية كانت أم إلهية، حيث تسود حالة من اللا معنى واللا تواصل في عالم لا طعم له ولا لون ولا رائحة، أي عالم لا مركز له ولا حدود، عالم العودة إلى الحالة الجنينية وإلى سكون الرحم.

• • •

الغنوصيـة

أحد روافد الفكر البهائي Gnosticism

رغم أن البهائيـة أخـذت عـن الغنوصـية القديمـة بعـض العقائـد والـشرائع. فـإن الغنوصية نفسها هي أسمى بكثير من البهائية. والغنوصية بريئـة مـن كـل الطوائـف التـي انتحلت عنها ديانات وعقائد جديدة. فنحن ندرس الغنوصـية باعتبارهـا منظومـة فكريـة وفلسفية قديمة تفيدنا في تأريخ العقائد والمذاهب الفكرية في منطقة الشرق.

الغنوصية من الكلمة اليونانية «غنوصيص»، ومعناها «علم» أو «معرفة» أو «حكمة» أو «عرفان». وفي التراث العربي الإسلامي، تُستخدَم كلمة «عرفان» عند المتصوفين لتـدل على نوع أسمى من المعرفة «إلهام».

والغنوصية ترى أن ثمة جوهراً واحداً يجمع بين كل الديانات ولذا لا تقدم نفسها كديانة جديدة، بل كباطن للشريعة القائمة، ومهمة الغنوص الكـشف عـن المغـزى العميـق للعقيـدة (ولكل العقائد) التي ينتمي إليها الغنوصي بواسطة معرفة باطنية وكاملة لأمور الدين.

والغنوصية حركة فلسفية وتعاليم دينية متنافرة تأخذ شكل أنساق أسطورية جميلة في غاية التنوع وعدم التجانس، انتشرت في الشرق الأدنى القديم في القـرنين الثـاني والثالـث بعد الميلاد. ورغم أن أساطيرها وتعاليمها وأفكارها غير متجانسة، إلّا أنه، يمكـن القـول بأن ثمة بنية كامنة واحدة أو نموذجاً معرفياً واحداً يجمعها ببعـضها، ذلـك أن المنظومـات الغنوصية كافة منظومات كمونية حلولية واحدية تبحـث عـن مبـدأ واحـد مطلـق يحكـم الكون بأسره، كما تبحث عن قانون شامل من غير ثغرات يعبِّر عن الواحدية الكونية التـي ترد الكون بأسره إلى مبدأ واحد ومن ثم يذوب الكـل في الجـزء وتـصبح الركيـزة النهائيـة كامنة في المادة، ولذا يتحقـق النمـوذج في لحظـة التوحـد الكامـل بـين الخـالق ومخلوقاتـه (باختفاء الإنسان في مقولات أكبر منه)، أي أنها تنتهي بموت الإلـٰه ثم بموت الإنسان.

وهي محاولة لتفسير كيفية خروج النسبي من المطلق، والشر من الخير، وتجيـب عليهـا بإجابات بسيطة بل ساذجة من خلال الأنـساق الأسـطورية التـي تختـزل الواقـع الإنـساني والتاريخي المركب. وتستخدم الغنوصية مفـردات الحلوليـة الكمونيـة الواحديـة وصـورها المجازية (الجسد ـ الجنس ـ الرحم ـ الأرض) لإدراك العالم وتذهب الغنوصية إلى أن الكـون شرير ومعاد، وأن العالم سجن والزمان رديء، وأن الإنسان لا ينتمي إلى هذا العالم وأنه وقع

فيه وفي الزمان لا لذنب اقترفه أو لشر متأصل فيه وإنما بسبب خلل كوني أدى إلى تسرُّب بعض الشرارات الإلهية بحيث حُبست داخل المادة. والإنسان هو جزء من هذه الشرارات، فهو ينتمي إلى العالم النوراني، عالم الإلـٰه الخفي. ولن يتم الخلاص ولن يبلغ الإنسان الكمال (الذي هو اسم آخر للنجاة والخلاص) إلّا من خلال معرفة خفية باطنية (غنوص) تتصل بالحقيقة الكلية الشاملة، وهي معرفة أو عرفان يفضي بالإنسان إلى معرفة بالإله،

فالإله هو في نهاية الأمر الإنسان،

والإنسان هو الإلـٰه،

أو على الأقل ينتميان لعالم واحد،

وقد صيغ من مادة واحدة أو جوهر واحد،

ولذا فإن الخلاص والكمال هو اتحاد الذات الإنسانية مع الألوهية اتحاداً جوهرياً وانتهاء العالم.

والغنوصية هي النموذج المتكرر والكامن وراء معظم (إن لم يكن كل) الفلسفات والأنساق الحلولية الكمونية الواحدية (الروحية والمادية) عبر التاريخ، وهي أهم تعبير عن الواحدية الكونية وعن النزعة الطبيعية المادية، وأكثرها تبلوراً، وهي القواعد أو النحو العالمي الكوني للهرطقة، الذي وُلدت منه كل أنواع الهرطقات المادية المعادية للإله والإنسان، علمانية كانت أم «دينية»،

وهي هرطقات ليست معادية للإله المتجاوز وحسب، وإنما معادية للإنسان باعتباره كائناً فريداً مركباً حراً متعدد الأبعاد قادراً على تجاوز ذاته الطبيعية وعلى تجاوز الطبيعة/ المادة وعلى اتخاذ مواقف أخلاقية تنبع من حريته وإحساسه بالمسؤولية وبهويته وحدوده،

أي أن الإلحاد الغنوصي إلحاد جوهري وجذري وتعبير عن عداء عميق لظاهرة الإنسان نفسها. وانطلاقاً من نموذجنا التوليدي، فإننا نذهب إلى أن الغنوصية قائمة منذ بداية التاريخ.

وقد أحرزت الغنوصية نجاحاً فائق النظير في حالة النسق الديني اليهودي إذ تصاعدت معدلات الحلولية حتى أصبحت اليهودية عقيدة غنوصية من خلال القبَّالاه. وقد أحرزت الغنوصية انتصارها الأكبر مع ظهور العلمانية (الحلولية الواحدية المادية ووحدة الوجود المادية)، فالفلسفات والأنساق العلمانية، هي بمعنى أو آخر، شكل من أشكال الغنوص ومن المعروف أن الظروف التي عاش فيها أتباع الحركة الغنوصية لا تختلف كثيراً عن الظروف التي يعيشها الإنسان الحديث في المدينة الحديثة أو في المجتمعات الحديثة التي

تم ترشيدها وإخضاعها لمعايير الكفاءة المستمدة من نماذج طبيعية/ مادية يُقال لها «علمية».

الكنيسة المسيحية في مواجهة الغنوصية

بعد القضاء على الهرطقة الغنوصية على يد الكنيسة، وبعد موت قيادتها، استمرت الغنوصية على هيئة حركات دينية خارج الديانات التوحيدية وأحياناً داخلها. ويمكن القول بأن منظومة عبد الله بن سبأ هي منظومة غنوصية. ويرى المؤرخون أن التصوف الإسلامي الحلولي المتطرف ذو طابع غنوصي، ويمكن تصنيف البهائية ضمن أشكال الغنوص. كما تعتبر العقائد الماسونية ذات طابع غنوصي.

ولا تزال هناك فرقة دينية في العراق وإيران تُسمَّى الصابئة المندائيين وهي فرقة غنوصية. أو متأثرة بالغنوصية إلى حدّ كبير. يبلغ عدد أفرادها خمسة عشر ألفاً، («مندائي» هي الكلمة الآرامية لـ «غنوص» فالمندائي هو العارف وهي من كلمة «منداء» أو «منداع» بمعنى «معرفة») وتتضمن عقيدتهم التطهر في المياه الجارية وشعائر جنائزية مركبة. فحينما يموت المندائي، يقوم الكاهن بالشعائر اللازمة لإعادة الروح لمسكنها الإلهي حيث ستتلقى جسداً روحياً جديداً، وبهذه الطريقة يتوحد الميت مرة أخرى مع آدم السري (الإنسان الأزلي)، أو المجد، جسد الإلـٰه المقدَّس

وقد ظهرت جماعات غنوصية داخل المسيحية،

مثل جماعات الكاثاري التي ازدهرت بين القرنين الثالث والحادي عشر وجماعة (الهرطقة الألبيجينية وغيرها).

وفرسان الهيكل

والمنشدين الذين يُطلَق عليهم لفظ «تروبادور»،

ويُقال إن مسلمي البوسنة والهرسك كانوا من أصول غنوصية، فكأن الغنوصية هنا كانت الأرضية الفلسفية التي رفضوا على أساسها المسيحية وأصبحوا هامشيين بالنسبة لها، ولذا كان من السهل دخولهم في الإسلام مع وصول العثمانيين وقد تغلغلت الغنوصية في اليهودية وهيمنت عليها تماماً في القرن الرابع عشر بظهور القبَّالاه، وخصوصاً اللوريانية، وهي منظومة غنوصية متطرفة.

وجماعات المنشقين (راسكول) الذين تركوا الكنيسة الروسية الأرثوذكسية وكان معظمهم من عناصر فلاحية روسية. وكان من بينهم جماعة الخليستي، وكان منهم راسبوتين، والجريشنيكي الذين كانوا يؤمنون بالخلاص من خلال ارتكاب الرذائل والموبقات (تأليه الكون)، والبيزجلوفنسكي الذين كانوا يلزمون الصمت لمدد طويلة.

ومن أهم هذه الجماعات الدوخوبور (ومنهم مدام بلافاتسكي وهي مؤسسة الجماعة الثيوصوفية في لندن) ماتت 1891). وكان هناك السكوبتسي، المخصيون، الذين كانوا يعبّرون عن إيمانهم بالخالق بخصي أنفسهم (إنكار الكون). وقد تأثرت الحسيدية بهذه الجماعات الغنوصية، وخصوصاً الخليستي.

وقد تمتعت الغنوصية بحركة بعث جديدة حين بدأ الإنسان الغربي مشروعه التحديثي، ويذهب البروفسور عبد الوهاب المسيري إلى اعتبار أن ثمة علاقة قوية بين الغنوصية والمشروع التحديثي التنويري العلماني الغربي.

لذا نرىٰ أن البهائية هي نموذج غربي تمت صياغته وفق ذاك المشروع التنويري العلماني.

الأصول اليهودية للغنوصية

ينفرد البروفسور عبد الوهاب المسيري (الذي توفي في حزيران 2008) من بين الباحثين والمؤرخين العالميين في اكتشافه للأصول اليهودية للعقيدة الغنوصية، ويقول: "إن هناك بُعداً حلولياً كمونياً قوياً في اليهودية جعل لها قابلية عالية لإفراز الفكر الغنوصي. ويجب أن نتذكر أن اليهودية التي نتحدث عنها، وهي يهودية ما قبل الهيكل، لم تكن مفاهيمها أو عقائدها الدينية قد تبلورت بعد، بل كانت هذه المفاهيم تحتوي على أفكار ثنوية وتعددية كثيرة. وقد ساهم انتشار اليهود على هيئة جماعات مشتتة داخل تشكيلات حضارية شتّى، في مدن البحر الأبيض المتوسط وبابل، إلى زيادة عدم تجانس اليهودية بل إلى تنافرها وتحوُّلها إلى عقائد عدة أو ديانة مُهجَّنة. ويظهر هذا في كثير من العقائد اليهودية الثنوية (مثل: عزازيل، وميتاترون، وقوة الملائكة والشياطين، وحدود الإلٰـه، والنزعة العدمية في سفر الجامعة، وإنكار البعث في كثير من كتب العهد القديم). وقد عُثر على أحجار في صحراء النقب عليها نقوش تتحدث عن عشيراه زوجة إلٰـه يسرائيل، وكان يهود إلفنتاين يعبدون يهوه وزوجته عنات.

وثمة نصوص عديدة في العهد القديم يمكن تفسيرها تفسيراً غنوصياً بكل بساطة. وقد كان الغنوصيون اليهود يشيرون إلى الإصحاح الأول في سفر التكوين (وخصوصاً الفقرة رقم 27 " فخلق الإلٰـه الإنسان على صورته، على صورة الإلٰـه خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم")، وإلى حزقيال 1/ 26 ("وعلى شبْه العرش شبْهٌ كمنظر إنسان عليه من فوق")، كما أن كتب الرؤى (أبوكاليبس) اليهودية دعَّمت الاتجاهات الغنوصية بتقسيمها الزمان وبكل حدة إلى زمان الفساد الحاضر وزمان الخير المستقبل، وبرؤيتها للتاريخ باعتباره ساحة صراع شرس بين قوى الخير وقوى الشر. كما أن النزعة الحلولية الكمونية القوية في

هذه الكتب مهَّدت الجو لظهور الغنوصية. فعلى سبيل المثال، جاء في كتاب حكمة سليمان أن روح الإلـه (النيوما) توجد في كل الأشياء. وقد انتشرت كتب الرؤى في نهايات الألف الأخير قبل الميلاد، وكثير من عناصرها دخل الفكر الغنوصي."

ويذهب بعض الدارسين إلى وجود غنوصية يهودية قديمة قبل ظهور الغنوصية في العصر المسيحي (واستمر ذلك حتى العصر الحديث بعد أن دخلت التيار الغنوصي الأشمل). وفي كتابات فيلون السكندري ردود على بعض المهرطقين في عصره يُفهَم منها وجود اتجاهات غنوصية. وثمة نظرية تذهب إلى أن جماعات البحر الميت أو جماعات قمران (مثل الأسينيين) هي جماعات غنوصية مترهبنة.

الماسونية أحد روافد الفكر البهائي

كلمة «ماسونية» من الكلمة الإنجليزية» ميسون «Mason وهي تعني «البنَّاء. والبنائين كانوا مثل أعضاء الجماعات اليهودية في الغرب الذين كانوا يُعَدون عنصراً حراً يمكنه الانتقال من بلد إلى آخر. وقد كان هذا حقاً مقصوراً على الفرسان ورجال الدين . وتُعرَّف الماسونية بأنها مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التي تمارس هذه التعاليم، والتي تضم البنائين الأحرار والبنَّائين المقبولين أو المنتسبين، أي الأعضاء الذين لا يمارسون حرفة البناء، وكانت الماسونية في العصور الوسطى تحتكر البناء والصناعة، فلا يسمح لأحد من غير المنتسبين لها بأن يمارس أي حرفة بناء أو صناعة. حتى الصناعات الخفيفة والصغيرة. وتحدث المؤرخون عن صناعة النرد المكعب الصغير، الذي كان يصقل من العظم. وكانت صناعته ممنوعة لغير الماسونيين. هذا الاحتكار هو الذي استمرّ في الغرب، وانتقل للعالم كله تقريباً، فأصبح يعرف اليوم بسرّ المهنة.

الماسونية، مثل اليهودية، تركيب تراكمي جيولوجي حسب تعريف المسيري. مر بمراحل عدة فأصبحت عناصره تشبه الطبقات الجيولوجية التي تتراكم الواحدة فوق الأخرى دون أي تفاعل أو تمازج. ورغم اختلاف الطبقات، فإنها تظل متعايشة ومتجاورة ومتزامنة داخل الإطار نفسه.

إن الماسونية في واقع الأمر عدة أنساق فكرية وتنظيمية مختلفة تماماً لا تنتظم داخل وحدة رئيسة شاملة.

توجد ثلاثة عناصر تميِّزها. أول هذه العناصر هو وجود مراتب ثلاث أساسية يُقال لها درجات، وهي

أ) التلميذ أو الصبي

ب) زميل المهنة أو الصنعة (الرفيق)

جـ) البنّاء الأعظم أو الأستاذ بمعنى أستاذ في الصنعة)

وقد أضيفت إلى هذه الدرجات الثلاث الأساسية درجة رابعة أخرى أساسية هي «القوس المقدَّس الأعظم»، ثم هناك ما يقرب من ثلاث وثلاثين درجة أخرى في بعض المحافل (كما هو الحال في الطقس الاسكتلندي القديم)، ويصل أحياناً عدد الدرجات إلى بضعة آلاف. ومن رموز الماسونية: المثلث، والفرجار، والمسطرة، والمقص، والرافعة، والنجمة الخماسية، والأرقام 3 و5 و7 (وهي رموز وطقوس تساعد على اكتشاف النور) (ونلاحظ هنا تشابهاً مع المندائية)

والوحدة الأساسية في التنظيمات الماسونية هي المحفل أو الورشة. ويحق لكل سبعة ماسونيين أن يشكلوا محفلاً مستقلاً، وهنا نلاحظ التشابه مع البهائية، ففي البهائية يستطيع كل تسعة أفراد أن يشكلوا مؤسسة دينية بهائية مستقلة.

العنصر المهم في العقيدة الماسونية، وهو العنصر الربوبي، أي الإيمان بالخالق بدون حاجة إلى وحي، فإن محفل الشرق الأعظم في فرنسا رفض هذا الحد الأدنى تماماً عام 1877، وترك لكل عضو أن يحدد بنفسه موقفه من هذه القضية، وتم تأكيد «التقوى الطبيعية» بدلاً من «الإيمان الحق»، أي أن الماسونية الفرنسية تبنت صيغة علمانية كاملة مؤسَّسة على الفكر الهيوماني أو الإنساني العلماني. فالبناؤون (مثل أعضاء الجماعات اليهودية) كانوا جزءاً من اقتصاد نقدي في مجتمع زراعي. كما أن البنائين كانوا أحراراً تماماً في حركتهم. فقد كان الحداد، مثلاً، يقوم بعمله في مكان ثابت ويقوم على خدمة جماعة بعينها، أما البناء فكان عليه الانتقال من مكان إلى آخر بحثاً عن عمل. ولذا، يمكن القول بأن البنائين كانوا من أكثر القطاعات حركية في المجتمع الوسيط في الغرب. وكان على البنائين أن يجدوا إطاراً تنظيمياً يتلاءم مع حركيتهم، فالنقابات الحرفية بتنظيمها المألوف كانت ملائمة للحرفيين الثابتين. أما بالنسبة للبنّائين، فكان لابد من ابتداع إطار حركي خاص بهم .ومن هنا كانت فكرة البنّاء الذي يُقال له بالإنجليزية: «لودج «lodge أي «المحفل».

أصول الماسونية

في البحث عن أصول الماسونية لابد من مقارنتها بأفكار وعقائد الديانات والجماعات الأخرى، فالماسونية أخذت عن الغنوصية وعن اليهودية، وعن المندائية، ثم عن بعض المذاهب الإسلامية مثل: الدروز، والطائفة الإسماعيلية، وجماعة الحشاشين. ويرى المؤرخون أن الحركة الماسونية استمدت بعض أفكارها ورموزها وطريقة تنظيمها من هذه

الجماعات. فشيخ الجبل، رئيس جماعة الحشاشين، الذي يمسك كل الخيوط بيديه لا يختلف كثيراً عن رئيس المحفل، وطريقة العمل السرية وتجنيد الأعضاء الجدد وفكرة الدرجات التي تتبعها الحركة الماسونية لا تختلف كثيراً عن طريقة العمل والتجنيد في هذه الجماعات، بل تذهب بعض المراجع إلى أن جماعة فرسان الهيكل التي اتخذت الحركة الماسونية كثيراً من رموزها رموزاً لها هي في الواقع الأصل الحقيقي للحركة الماسونية، وأن فرسان الهيكل هؤلاء بدؤوا نشاطهم في فلسطين إبّان حروب الفرنجة، ثم انتقل نشاطهم إلى أوربا واستمر بعد سقوط كل جيوب الفرنجة في فلسطين، هؤلاء الفرسان هم في واقع الأمر مسلمون أو متأثرون بالفكر الديني الإسلامي، كانوا يحاولون من خلال تنظيمهم السري/ العلني أن يسيطروا على العالم المسيحي. ومن المعروف أن جماعة فرسان الهيكل كانت تكوِّن شبكة ضخمة في معظم أرجاء أوربا وأنه كانت تتبعها مجموعة من المحاربين/ الرهبان (الذين تأثروا بفكرة الجهاد الإسلامية) ومجموعة من المؤسسات المالية الضخمة ذات النفوذ القوي. وقد تم ضرب فرسان الهيكل في فرنسا وفي كل أنحاء أوروبا وقُدِّموا لمحاكم التفتيش. وكانت إحدى التهم الموجهة إليهم هي رفضهم القول بألوهية المسيح وتأثرهم العميق بالفكر الديني الإسلامي وتبشيرهم به، وقد اعترف بعض الفرسان بالتهم الموجهة إليهم. ويبدو أن فرسان الهيكل تأثروا بالفكر الإسلامي أو المُثُل الإسلامية إبّان وجودهم في الشرق الأوسط الإسلامي، كما أنهم تعاونوا بالفعل مع جماعة الحشاشين ودبروا معهم بعض المؤامرات. مهما كان الأمر فإن بعض المؤرخين يذهبون إلى أن بعض فرسان الهيكل قَدموا إلى إسكتلندا حيث أسسوا الحركة الماسونية للسيطرة على أوروبا بعد أن تم ضربهم وقد اختلطت فلسفة البنائين بالفلسفة الهرمسية السائدة في عصر النهضة في إنجلترا، وهي فلسفة غنوصية ذات طابع أفلاطوني حديث ارتبطت بهرميس تريسميجيستوس، وهو شخصية رمزية أساسية في الفكر الغنوصي حيث كان يُعَدُّ نبياً قبل المسيحية، وكان يُعَدُّ رسول الآلهة للبشر ويحمل المعرفة الخفية الباطنية (الغنوص).

كما اختلطت فلسفة البنائين بالحركة الروزيكروشيانية (بالإنجليزية: روزيكروشيان Rosicrusian نسبة إلى روز rose بمعنى وردة وكروس cross أي صليب) التي ورد أول ذكر لها في القرن السابع عشر، وهي جماعة غنوصية تدَّعي أنها تمتلك الحكمة الخفية عند القدماء. وقد أدَّى تداخُل رموز البنائين وأسرارهم مع الفلسفة الهرمسية والروزيكروشيانية، إلى أن سقطت تماماً القيمة الوظيفية لحرفة البناء، كما سقطت أدواتها (الفرجار والذراع والبوصلة والمثلث والمئزر والمزولة) واكتسبت قيمة رمزية، فتحوَّل ميزان البنائين (على سبيل المثال (إلى رمز العدالة، وتحوَّل الفادن (وهو خيط رفيع في طرفه قطعة من

الرصاص تُمتَحن به استقامة الجدار) إلى رمز استقامة الحياة وأفعال الإنسان، وهكذا تشكلت الطبيعة الجيولوجية المركبة لرموز الماسونية التي ضمت رموزاً من الديانات المصرية القديمة، كما ضمت كلمات عبرية بتأثير من القبّالاه التي دخل الماسونية كثير من أفكارها. والواقع أن اختلاط فكر البنائين بالفلسفة الهرمسية والروزيكروشيانية يَصلُح مؤشراً على اتجاه الماسونية. فهذه الفلسفات، برغم شكلها الصوفي، كانت جزءاً من الثورة العلمانية الشاملة الكبرى التي تفجرت في الغرب في القرن السادس عشر، والتي كانت تهدف إلى إزاحة الخالق من الكون أو وضعه في مكان هامشي ووضع الإنسان في المركز بدلاً منه، على أن يقوم الإنسان بالتحكم الكامل في الكون عن طريق اكتشاف قوانين الطبيعة الهندسية والآلية. وهي، بهذا، غنوصية جديدة تهدف إلى التحكم في الكون، لا من خلال المعرفة الخفية وإنما من خلال الصيغ العلمية. وعلى كلٍّ، كانت المعرفة الخفية تأخذ، في كثير من الأحيان، شكل صيغ رقمية أقرب إلى المعادلات الجبرية ويمكن القول بأن الدين الطبيعي، أو «الربوبية» كما كانت تُدعَى، هو تعبير عن معدل منخفض من العلمنة أو تعبير عن علمانية جنينية، فهي تستجيب لحاجة أولئك الذين فقدوا إيمانهم بالدين التقليدي ولكنهم لا يزالون غير قادرين على تَقبُّل عالم اختفى منه الخالق تماماً، أي أنهم بشر جردوا العالم من الدين والقداسة واليقين المعرفي والأخلاقي ولكنهم احتفظوا بفكرة الخالق في صيغة باهتة لا شخصية، حتى لا يصبح العالم فراغاً كاملاً والفكر الربوبي لايطالب من يؤمن به بأن يتنكر لدينه، إذ أن المطلوب هو أن يعيد تأسيس عقيدته، لا على الوحي وإنما على قيم عقلية مجردة منفصلة تماماً عن أي غيب، أي منفصلة عن الأنساق الدينية المألوفة للتفكير. فالربوبية، في واقع الأمر، فلسفة علمانية تستخدم خطاباً دينياً، أو ديباجات دينية، للدفاع عن العقل المادي المحض، وعن الرؤية التجريبية المادية. ومن ثم، فهي وسيلة من وسائل علمنة العقل الإنساني.

انحلال اليهود في البهائية

أدَّىٰ تَزايُد معدلات العلمنة وتعميق النفوذ الغربي إلى ظهور خطرين أساسيين على اليهود:

أولهما التبشير

وثانيهما البهائية،

فيُلاحَظ أن البعثات التبشيرية المسيحية التي نشطت قديماً في العالم الإسلامي زادت من نشاطها بين اليهود فقامت ببناء المدارس لأبناء أعضاء الجماعة ووفرت لهم الكثير من النشاطات الاجتماعية حتى تيسر تنصيرهم إلى حدٍّ ما. وتَحقَّق شيء من النجاح في هذا

المجال ولكن التحدي الأكبر لليهود كان البهائية التي رحب أعضاء الجماعة اليهودية بظهورها باعتبارها سبيل الخلاص لهم. وقد كرس أحد أتباع بهاء الله، ميرزا أبو الفضل، كل جهوده للتبشير بالبهائية بين اليهود، وقام بتفسير بعض آيات العهد القديم، وخصوصاً سفر أشعياء (الإصحاح التاسع) ودانيال (الإصحاح السابع)، للبرهنة على صدق العقيدة البهائية. وتُرجمت بعض المقطوعات المختارة من النصوص البهائية إلى العبرية، الأمر الذي ساهم في ذيوع الأفكار البهائية بين اليهود. وقد نجحت البهائية في اجتذاب أعداد كبيرة من اليهود إلى صفوفها. وربما يكون التركيب الاجتماعي للبهائيين، الذي كان مقارباً إلى حدٍّ ما للتركيب الاجتماعي لليهود، قد ساهم في هذه العملية.

يهود إيران انحلّوا في البهائية

يُلاحَظ أن معرفة يهود إيران باليهودية كانت ضعيفة إلى حدٍّ ما بسبب انفصالهم عن المراكز الرئيسة لليهودية في العالم، وبسبب عدم وجود حاخامات مدربين التدريب الديني اللازم. فقد كانوا لا يعرفون تمائم الصلاة (تيفلين)، كما كانوا يتبعون عادات دينية لا تعرفها اليهودية الحاخامية مثل الحج إلى قبر إستير وموردخاي (في همدان) وقبر دانيال (في سوسة) وغيرهم من شخصيات العهد القديم التي يزعم يهود فارس أنهم مدفونون فيها ويُلاحَظ كذلك أن يهود فارس يتحدثون بعدة رطانات هي عبارة عن اللغة أو اللهجة السائدة في المنطقة التي عاشوا فيها، في مرحلة تاريخية سابقة، مضافاً إليها بضع كلمات عبرية. وهذه الرطانات تفيد علماء اللغة إذ تحتفظ بصيغ لغوية مندثرة. وإلى جانب الجماعة اليهودية الفارسية، وُجدت جماعة يهودية كردية في المنطقة التي يعيش فيها الأكراد داخل حدود إيران. ولكن لم تقم مؤسسات لتشرف على شؤون الجماعة بسبب الخلافات الدائمة بين أعضائها، ولهذه الأسباب مجتمعة زادت معدلات انحلال اليهود الإيرانيين في المنظومة البهائية.

شيرين عبادي

الرئيس محمود أحمدي نجاد، أمر الشرطة بحماية الحائزة على جائزة نوبل للسلام العام 2003، وهي شيرين عبادي، والتي أكدت تلقيها تهديدات بالقتل. وقالت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية إن "أحمدي نجاد طلب من قائد الشرطة التحقيق حول هذه القضية وكشف مصدر الرسائل وإحالة مرسليها إلى القضاء".

وكانت المحامية والناشطة ، قد أكدت أنها تلقت تهديدات بالقتل. وتولت عبادي في الأعوام الأخيرة قضايا حساسة تتصل بحقوق الإنسان في إيران وكانت تلقت تهديدات مماثلة العام 2006.

ويقول مراقبون إن تدخل أحمدي نجاد في هذا الموضوع يعتبر لافتاً، نظراً إلى أن شيرين عبادي واحدة من أبرز منتقدي سياسات الرئيس الإيراني داخل إيران. وقالت عبّادي إن هذه التهديدات تصلها عن طريق إلصاقها على باب مكتبها ومنزلها، محذرة إياها من عدم "حفظ لسانها".

وكانت عبادي قد صرحت أنها مؤمنة بصحة ما تقوم به وأنها لا تخشى من أي شيء.

وسبق أن تلقت عبادي تهديدات لكنها قالت في بيان أصدرته "إن التهديدات ضدها وضد أفراد عائلتها قد تزايدت في الآونة الأخيرة".

وجاء في أحد التهديدات التي تلقتها "عبادي: نهايتك اقتربت"، محذرة إياها من الدفاع عن الأقلية البهائية في إيران والإدلاء بأحاديث لوسائل الإعلام الأجنبية.

واستمرت شيرين عبادي بإزعاج الرأي العام والأعراف الدينية والأخلاقية في إيران ففي نهاية العام 2008، صدر حكم بحقها. واهتم الرئيس الإيراني (أحمدي نجاد) بأمر مشاغباتها فأصدر الأوامر بملاحقتها قانونياً.

شيرين عبادي

العلمنة تزيد من معدلات البهائية

إن معدلات العلمنة آخذة في الارتفاع في أمريكا اللاتينية خصوصاً وفي الغرب عموماً، حيث يتضح هذا في ظهور العقائد العلمانية ذات الديباجات الدينية والعقائد شبه الدينية التي لا تختلف بنيتها عن بنية الفكر العلماني، مثل الماسونية والبهائية والربوبية، كما يُلاحَظ تزايد انتشار البروتستانتية. وترتفع بالتالي معدلات العلمنة بين الجماعات اليهودية وينضم أعضاؤها بأعداد متزايدة إلى المحافل الماسونية والمعابد البهائية ويظهر بينهم الفكر الربوبي. كما أن النادي اليهودي، وهو التعبير عن تزايد معدلات العلمنة والانصراف عن الدين وشعائره، آخذ في الانتشار بكثرة.

ففي النادي اليهودي، سيجد يهود أمريكا اللاتينية بعض الرموز اليهودية الإثنية أو الدينية التي ليس لها مضمون أخلاقي مُلزم، وإلى جوار ذلك سيجدون حمامات السباحة الضخمة وقاعة الديسكو والبلاجات التي تجلس فيها النساء (اليهوديات) يرتدين مايوهات عصر ما بعد البكيني (على حد قول أحد الحاخامات). وينخرط اليهود في أسلوب حياة علمانية كاملة مكرسة للاستهلاك والحرية الجنسية وغير الجنسية ويُلاحَظ أن معدلات العلمنة آخذة في التزايد بين الأمريكيين اليهود في السنوات الأخيرة. حيث يتجلّى ذلك في إقبال الشباب اليهودي على مختلف العبادات الجديدة مثل الماسونية والبهائية والانخراط فيها. وقد ورد في إحدى الإحصاءات أن 53٪ من اليهود لا ينتمون إلى أبرشية دينية، أي لا يذهبون إلى المعبد. ومن النسبة الباقية، ذكر 50٪ أنهم محافظون، وذكر 30٪ أنهم إصلاحيون.

• • •